ملامح توظيف السيرة النبوية في بناء قصيدة مفدي زكرياء

د. بولمعالي النذير
جامعة يحيى فارس المدية . الجزائر

ملخص:

إن المتتبع لشعر مفدي زكرياء رحمه الله يجد في ثناياه تأثرا دينيا كبيرا سواء بالقرآن الكريم أو بسيرة وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم والتاريخ الإسلامي من اقتباس للألفاظ أو استعمال للمعاني ويتجلى هذا بوضوح وبخاصة في الشعر المخلد للثورة التحريرية الكبرى وللثوار (للجهاد وللمجاهدين) فالنزعة الجهادية للذب عن الدين والوطن والحقوق كانت ثابتة في فكر وفي شعر الرجل ثباته على دينه وحبه لوطنه رحمه الله تعالى وألحقنا به غير مبدلين ولا مغيرين؛ كما تتجلى أيضا عند معالجته لقضايا الأمة العربية الإسلامية ومناصرته لها.

Abstract:

The follower of the poems of Moufdi Zakaria –God's mercy be upon him– finds in its context that he is influenced religiously with the Holy Quran and the sira nabauouia of the Prophet mohamed (peace be upon him) and also the Islamic history from the quotations or the use of meanings which reflected this clearly, especially in the legendry poem of major editorial of the revolution and the revolutionaries (for Jihad and the Mujahideen) The tendency of jihadist to defend religion, the homeland and rights were fixed in the mind of the man poems on the persistence of his religion and his love for his homeland of God's mercy and that he is doing a disservice ; also reflected at the handling of the issues of the Arab and Islamic nation and her espousal.

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد، الحمد لله، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، القائل في كتابه الكريم: ﴿**وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ *أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ*وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ**﴾[1]؛ والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ونبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين القائل صلى الله عليه وسلم: [إن من البيان لسحرا، أو: إن بعض البيان لسحرا][2]. وقوله أيضا صلى الله عليه وسلم:[إن من الشعر لحكمة ومن البيان لسحرا]. وفي رواية أخرى [ومن القول سحرا] لما قام به حسان بن ثابت شاعره رضي الله عنه بالذب عن الإسلام[3]. وفي حديث أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: [إن من الشعر حكمة]، ولقد عده الرسول صلى الله عليه وسلم من الجهاد في سبيل الله؛ بل وقد عده عليه الصلاة والسلام أشد الجهاد على الكفار؛ فقال لحسان:[إن

---

[1] الشعراء 224-227، للمزيد في معنى الآيتان، أنظر: **فخر الدين الرازي. التفسير الكبير. ج12، تحقيق وتعليق عماد زكي البارودي، (القاهرة: المكتبة التوفيقية)، ص: 161-162.**

[2] حديث صحيح، أنظر صحيح الجامع برقم 2215.

[3] ابن كثير. السيرة النبوية. ج2، (ط1، القاهرة: دار الصفا، 1426هـ/ 2005م)، ص:270.

المنارة للاستشارات

هجو الكفار أشد عليهم من وقع النبل][1]، وعلى آله وصحابته أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن من الشعر لحكمة، قال النبي صلى الله عليه وسلم لشاعره حسان بن ثابت رضي الله عنه:[أهجهم وروح القدس معك][2].

إن المتتبع لشعر **مفدي زكرياء** رحمه الله يجد في ثناياه تأثرا دينيا كبيرا سواء بالقرآن الكريم أو بسيرة وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم والتاريخ الإسلامي من اقتباس للألفاظ أو استعمال للمعاني ويتجلى هذا بوضوح وبخاصة في الشعر المخلد للثورة التحريرية الكبرى وللثوار ((للجهاد وللمجاهدين)) فالنزعة الجهادية للذب عن الدين والوطن والحقوق كانت ثابتة في فكر وفي شعر الرجل ثباته على دينه وحبه لوطنه رحمه الله تعالى وألحقنا به غير مبدلين ولا مغيرين كما تتجلى أيضا عند معالجته لقضايا الأمة العربية الإسلامية ومناصرته لها.

من هو مفدي؟

مفدي زكرياء (زكريا بن سليمان بن يحيى بن الشيخ سليمان بن الحاج عيسى) من مواليد يوم الجمعة 12 جمادى الأولى 1326هـ الموافق 12 حزيران 1908م، في بني يزقن بولاية غرداية الجزائرية، لقبه زميل دراسته سليمان بوجناح بـ: "مفدي" فأصبح لقبه الأدبي الذي اشتهر به. تلقى تعليمه

---

[1] رواه النسائي (5/ 211)، أنظر: الصنعاني. سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام.(الإسكندرية: دار البصيرة، 2002م)، ص: 184.

[2] حسان بن ثابت الأنصاري. ديوان حسان بن ثابت الأنصاري. شرح وضبط وتقديم: عمر فاروق الطباع (ط1؛ بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، 1413هـ/ 1993م)، ص: 07.

المنارة للاستشارات

الأولي في بلدته، ثم التحق بالبعثة الميزابية بتونس وأتيح له خلال مقامه في البلد الشقيق الاغتراف من نبع اللغة والثقافة العربية، واستيعاب تراثها الشعري، والاطلاع على قصائد شعراء مدرسة الإحياء وكذا المدرسة الرومانسية، فكان لذلك أثره في إثراء موهبته واتباعه المنهج الفني الذي قامت عليه المدرسة الأولى بصفة خاصة، كما يبدو جليا في شعره، فواصل دراسته هناك، وبدأ يكتب الشعر، ونشر أول قصيدة له وهي (إلى الريفيين)[1] في جريدة لسان الشعب التونسية بتاريخ 1925/5/6م، ثم نشرت في جريدة الصواب التونسية، فجريدتي اللواء والأخبار المصريتين بعد ذلك. كما أتيح له متابعة الصحف العربية الوافدة من مصر إلى تونس، وما حفلت به صفحاتها من مقالات بأقلام رواد النهضة والإصلاح والتحرير، وانعكس هذا بدوره على الموضوعات والأفكار والمشاعر التي عبر عنها **مفدي زكرياء**.

لما عاد من تونس إلى الجزائر المنكوبة بالاستعمار لم يتردد في اللحاق بركب حركة الإصلاح والاستقلال, فانضم إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وكان من شعرائها المرموقين، وقد تتابعت قصائده بصحفها ومجلاتها، ثم رافق الحركة السياسية الوطنية مناضلا بقلمه ولسانه، فكان شاعر الحرية والنضال والدعوة إلى التضحية والفداء في سبيل عزة الوطن وحريته. ولقب بـ: (ابن تومرت)، وهو اسم مؤسس دولة الموحدين في المغرب العربي، واعتقل وسجن عدة مرات، والاستقلال أمضى حياته في التنقل بين أقطار المغرب العربي، وكان مستقره في المغرب, وخاصة في سنوات حياته الأخيرة،

[1] بومعالي نذير.< الأبعاد الدينية والفلسفية والتروية لآثار مفدي زكريا>. مؤسسة مفدي زكريا . فرع غرداية . ص:34.

المنارة للاستشارات

وتوفي في تونس يوم الأربعاء 2 رمضان 1397هـ الموافق 17 أغسطس 1977م، ونقل جثمانه إلى الجزائر ليدفن بمسقط رأسه ببني يزقن.

إن الثورة الجزائرية هي الينبوع المتفجر في قصيده، لأنها القضية الأساسية التي وقف عليها فنه وحياته، والتي ألهمته حرارة أنفاسه، فلا غرو أن يقترن اسم مفدي زكريا على صفحات الأيام ومدارها بعبارة (شاعر الثورة الجزائرية) فهي قولة حق بلا منازع، لأنها الجذوة التي ألهبت وجدانه وفكره، منذ عرف طريقه إلى عالم الكلمة حتى غدا شاعر الحرية والنضال. وبهذا الموقع ينتسب في رأي إلى طبقة شعراء الحماسة العرب. فشعره هو الثورة والثورة هي شعره.

لقد جاهد مفدي بلسانه فكان صادقا متمثلا في ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: فعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم][1]. فقد وعى مفدي زكريا هذا الحديث وعمل به.

لقد تغنى شاعرنا بانتماء الجزائر إلى الإسلام والعروبة، فتحت رايتهما تصدت كتائب جيش التحرير للمستعمر مستلهمة مبادئها وأهدافها وسلوكها من الأصول الإسلامية وروح الشريعة، جاعلة من الجهاد في سبيل إعادة البلاد إلى نهج العروبة والإسلام مبدأ مقدسا آمن به رجالها إيمانا لا يتزعزع، ومن ثم كان للدين الإسلامي الحنيف الباع الطويل في شحذ الهمم والتفاف الشعب حول قادة الفاتح من نوفمبر بعد أن مهد العلماء والأحرار الجزائريون للثورة بنشر العقيدة

[1] رواه أحمد والنسائي وصححه الحاكم، أنظر مزيدا: الصنعاني. سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام.(الإسكندرية: دار البصيرة، 2002م)، ص: 184.

المنارة للاستشارات

وبث الوعي بمقاصدها، فاستوعبوا جوهر الدين الحق، فحاربوا الفرقة التي أشاعها التخلف والاستعمار، كما قاوموا النزعة الإقليمية المعادية للعروبة والتي غرسها الفرنسيون، وبشروا بالجانب الإنساني للإسلام، ونشروا التعليم باللغة العربية التي استخدم الاستعمار كل الوسائل للقضاء عليها وطمس الشخصية الجزائرية.

ولقد كان شاعرنا في طليعة هؤلاء العلماء والأدباء والأحرار في عصره، فقد كانت له دارية عميقة بالتاريخ العربي الإسلامي الذي جعل شعوب المشرق والمغرب نسيجا واحدا لا انفصام له. إن **مفدي** كان يؤمن بثورة القلم (الكفاح القلمي والمسلح) ويعتقد بقوتها فهو يقول في بعض حواراته مع البرامج الإذاعية التي كانت تسجلها له إذاعة الرباط نجده يتحدث عن انطلاق الثورة الثقافية، كامتداد طبيعي لعمق ثورة نوفمبر الخالدة، وعن التراث العربي الزاخر، فهكذا كان يؤمن مفدي بثورته.

وفي إحدى مقالات الشاعر الكبير فاروق شوشة بجريدة الأهرام المصرية، تحدث عن شاعرنا باعتباره رمز الارتفاع عن قيد العرق أو الجنس، إلى سماء النزعة الوطنية والقومية والإسلامية، منفتحا على أفق إنساني رحب، وقيم سامية للخير والحق والجمال.

ومن النواحي التي نلمس فيها ما ذكرناه، اللوعة التي يتكلم بها عن القضية المركزية للعرب والمسلمين، ألا وهي القضية الفلسطينية وكذا قضية الوحدة العربية والإسلامية والتحاب بين شعوب هذه الأمة في نسج جمالي غير

المنارة للاستشارات

مسبوق[1]. فها هو يقترح على الطلبة في مؤتمرهم الرابع بتونس سنة 1934م ما سماه بعقيدة التوحيد ومما جاء في هذا الاقتراح:

كل مسلم بشمال إفريقيا يؤمن بالله ورسوله ووحدة شماله هو أخي وقسيم روحي، فلا أفرق بين تونسي وجزائري ومغربي، ولا بين مالكي وحنفي وشافعي وإباضي وحنبلي، ولا بين عربي وقبائلي ولا بين مدني وقروي ولا بين حضري وأفاقي، بل كلهم إخواني، أحبهم وأحترمهم وأدافع عنهم ما داموا يعملون لله وللوطن وإذا خالفت هذا المبدأ فإنني أعتبر نفسي أعظم خائن لدينه ووطنه"[2].

ومما قاله في هذا المعنى شعرا:

نهوضا بني افريقيا من سباتكم فإن عيون الحادثات بمرصاد

تناديكم الأجداد من رمم الثرى فلبوا إلى العلياء دعوة أجداد

كفانا شقاء من وباء شقاقنا وتمزيق مجموع وتشتيت أفراد

فهل نحن أمة عربية شقيقة أرواح، قسيمة أكباد

وهل نحن إلا أمة أحمدية مقدسة، غرًّا، سليلة أمجاد

فكان إيمانه ثابتا بمبدأ العمل الوطني الوحدوي لا من أجل الجزائر وحدها وإنما من أجل مغرب عربي كبير. قال صلى الله عليه وسلم: [المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا][3] وشبك بين أصابعه.

---

[1] محمد ناصر، مفدي زكريا شاعر النضال والثورة. (الجزائر: المطبعة العربية، 1984م).

[2] بومعالي نذير.<الأبعاد الدينية والفلسفية والتروية لآثار مفدي زكريا>. مرجع سابق . ص: 37.

[3] متفق عليه.

وعن **النعمان بن بشير** رضي الله عنهما قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى][1].

يقول مفدي في هذا المعنى:

وعلمت آدم حبه عساه يسير على هدينا

ومن لم يوحد شتات الصفوف يعجل به حمقه للفنا

ويتجلى هذا عند **مفدي** أيضا في الاهتمام الكبير الذي أبداه للقضية الفلسطينية، القضية المركزية للعرب والمسلمين فيقول في حوار بين شاعر وأرض مغتصبة والعرب بمناسبة الذكرى 13 لتقسيم فلسطين:

أناديك في الصرصر العاتية وبين قواصفها الذَّارية

وأدعوك بين أزيز الوغى وبين جماجمها الجاثية

وأذكر جرحك في حربنا وفي ثورة المغرب القانية

فلسطين يا مهد الأنبياء ويا قبلة العرب الثانية

ويا حجة الله في أرضه ويا هبة الأزل السامية

ويا قدسا باعه آدم كما باع جنته العالية

وأضحى ابنه بين إخوانه يلقبه العرب الجالية

فلسطين والعرب في سكرة قد انحدروا بك للهاوية

رماك الزمان بكل زنيم من الفئة الباغية

وكل شريد على ظهرها تسخره بطنه الخاوية

وألقى بك الدهر شذاذه ومن لم تؤدبه المانية

[1] متفق عليه.

المنارة للاستشارات

وصب بك الغرب أقذاره ورجس نفاياته الباقية

وحط ابن صهيون أنذاله بأرضك آمرة ناهية

إلى أن يقول:

عقيدتنا في الورى وحدة وأسمى العقائد وحدانية

محمد أبقى لنا عبرة من الذئب والغنم القاصية

وفي نكبة العرب موعظة مدى الدهر للمهج الواعية

فمدوا يدا نحم أوطاننا وننقذ حمانا من الهاوية

فإن تتصروا الله ينصركم وينجز أمانيكم الغالية

ولن يخلف الله ميعاده ولا ريب ساعتنا آتية

ويقول في نفس المعنى ولكن في موضع آخر:

خلقنا بحكم الهوى إخوة فتبت يدا كل من فرقا

فها هو ذاك اللواء معلمنا حملناه ذات اليوم فوق الفؤاد

وها هو أحمد يحدوا بنا وها هو جبريل فينا ينادي

ألا في سبيل الاستقلال ألا في سبيل الحرية

يقصد بأحمد الرسول صلى الله عليه وسلم، ففي الحديث: عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: [ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان، فعليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية][1].

[1] رواه أبو داود بإسناد حسن.

والإيمان بالقضاء والقدر والرضا بما كتب الله له، إنه قمة في الاعتقاد وحسن الظن بالله تعالى فيقول في هذا المعنى:

واقض يا موت في ما أنت قاض أنا راض إن عاش شعبي سعيدا

أنا إن مت، فالجزائر تحيا حرة مستقلة لن تبيدا

ولعمري هذا مقتبس من قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي يرويه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه والذي جاء فيه: [بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا قال صدقت قال فعجبنا له يسأله ويصدقه قال فأخبرني عن الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت][1].

يقول شاعرنا رحمه الله تعالى:

احفظوها زكية كالمثاني وانقلوها للجيل ذكرا مجيدا

وأقيموا من شرعها صلوات طيبات ولقنوها الوليدا

[1] محي الدين النووي. شرح الأربعين النووية. (ط1؛ بيروت: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، 1423هـ/ 2002م)، ص: 47.

المنارة للاستشارات

والمثاني كما يفسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم هي سورة الفاتحة: فعن أبي سعيد رافع بن المعلى رضي الله عنه قال، قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد؟ فأخذ بيدي، فلما أردنا أن نخرج قلت: يا رسول الله إنك قلت لأعلمنك أعظم سورة في القرآن؟ قال: [الحمد لله رب العالمين، هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته][1].

إن شاعرنا يخاطب أحمد زبانه رحمه الله ويستحضرنا لتلك اللحظات التي سبقت تنفيذ الإعدام في أول شهيد للمقصلة فيقول:

يا زبانه، أبلغ رفاقك عنا في السموات قد حفظنا العهودا

يا زبانه ويا رفاق زبانه عشتم كالوجود دهرا مديدا

كل من في البلاد أضحى زبانه وتمنى بأن يموت شهيدا

لقد جاء في الحديث: عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عنه وسلم قال: [ما أحد دخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات، لما يرى من الكرامة] وفي رواية: [لما يرى من فضل الشهادة][2].

وكبر للجهاد بها، فقمنا نخضب بالدم الغالي الترابا

فقد تأثر الشاعر حتى بالألفاظ الجهادية فكان الصحابة لا ينطلقون إلا بصيحات الله أكبر وقد فعلها المجاهدون المغاوير في ثورة التحرير الكبرى في الفاتح من نوفمبر 1954م.

---

[1] رواه البخاري.

[2] متفق عليه.

المنارة للاستشارات

ويقول في قصيدة من الشعر الشعبي الموزون:

الله أكبر... أنا عربي مسلم

الروح هبت للفدا مشتاقة

جيش التحرير إحنا ما ناش فلاقة

صوت الجزائر في الجبال يلالي

ممزوج بالنار... و الدم الغالي

يدعو الشباب للجهاد العالي

حي على الجهاد... يا رفاقة...

جيش التحرير إحنا ما ناش فلاقة

إنه يوصي الشهيد بأن يخبر إخوانه الشهداء بأن الباقين باقون على العهد ولم يبدلوا ولم يغيروا من بعدهم، قال تعالى:﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا**﴾[1].

فالشاعر بهذا يعتقد بحياة الشهداء في الجنة مستلهما هذا من كتاب الله تعالى، قال تعالى: ﴿**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾[2].

ومن سنة النبي صلى الله عليه وسلم حيث جاء في الحديث النبوي الشريف عن أنس رضي الله عنه أن أم الربيع بين البراء، وهي أم حارثة بن

---

[1] الأحزاب 23.

[2] آل عمران 169.

المنارة للاستشارات

سراقة، أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله ألا تحدثني عن حارثة . وكان قتل يوم بدر. فإن كان في الجنة صبرت وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء فقال: [يا أم حارثة إنها جنان في الجنة وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى][1].

ففي الحديث وصف للجنة ودرجاتها، وذكر لموقعة بدر الكبرى وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين شاركوا في الغزوة ويضاهيهم فيقول مفدي رحمه الله:

نوفمبر غيرت مجرى الحياة وكنت نوفمبر مطلع فجر
وذكرتنا في الجزائر بدرا فقمنا نضاهي صحابة بدر
وجندت من خالد بن الوليد وسعد بن وقاص أبطاليه
وجددت حطين في موطني وخلدت أمجاد أنطاكية

ويقول في موضع آخر في نفس المعنى:

والشعب أسرع للشهادة عندما ناداه عقبة للفداء وحيدر

ويستفز الشاعر النخوة العربية بذكر الأمجاد التاريخية التي خلدها أبطال العرب والإسلام أمثال خالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص وعقبة بن نافع والإمام علي كرم الله وجهه وصلاح الدين الأيوبي في القادسية وحطين وأنطاكية.

[1] رواه البخاري.

ويختتم **مفدي زكريا** قصيدته بالأمل... بل بالثقة في النصر، فها هو يقول في نشيد الانطلاقة الوطنية الأولى 1936م لنجم شمال إفريقيا:

سرى بالروح دم الفاتحين فأذكى فيها معاني الفدا

ولسنا نرضى الاندماجا ولا نرتدي فرنسيسا

رضينا بالإسلام تاجا كفى الجهال تدنيسا

فكل من يبغي اعوجاجا رجمناه كإبليسا

ويثير الشاعر مسألة العدل والقيم الإنسانية مذكرا فرنسا الباغية بها فيقول:

ليس في الأرض سادة وعبيدا كيف نرضى بأن نعيش عبيدا

أ من العدل صاحب الدار يشقى ودخيل بها يعيش سعيدا

أ من العدل صاحب الدار يعرى وغريب يحتل قصرا مشيدا

ويجوع ابنها فيعدم قوتا وينال الدخيل عيشا رغيدا

إنه يدعو إلى إقامة العدل والبعد عن الحيف و الظلم.

إن **مفدي** لم يكن يرى الثورة فقط في حمل السلاح والكفاح المسلح وسيلة للريادة والخروج بهذه الأمة مما هي فيه بل كان فكره أوسع من ذلك، فقد تعدى هذا المجال إلى مجال أكثر تأثيرا في الانطلاق الحضاري فها هو يحاول الإرشاد بشعره في قضية اجتماعية لكن بمؤثراتها وتبعاتها قد تكرس الاستعمار ألا وهي قضية غلاء المهور، والزواج بالأجنبيات.

المنارة للاستشارات

ولا يخفى تأثير الزواج بالأجنبية على أصالة المجتمع وانتمائه الحضاري فيقول رحمه الله:

وعلال عاد إلى وكره بماري ولعنة تيودور

فويل الجزائر جيلا فجيلا إذا لم تحطم غلاء المهور

وتعس شباب عديم النهى على رجس عاداته لا يثور

شغلنا الورى وملأنا الدنا

بشعر نرتله كالصلاة

تسابيحه من حنايا الجزائر

ونختتم هذا المقال بأبيات فيها دعاء من الرجل راجيا فيه التوبة والصفح من الله تعالى فيقول:

فيا رب قد أغرقتني ذنوبي وأنت العليم بما في الغيوب

أتوب إليك بإلياذتي عساها تكفر كل ذنوبي

عصيتك علما بأنك تعفو على المسرفين فهانت خطوبي

ولولا صفاتك رب غفور رحيم لضاقت علي دروبي

وأكد فعل الصفات العصاة فأكد فضلك ستر العيوب

وهنا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾[1].

ولولا وجود العصاة لبطل مفعول الكثير من الصفات كالعفو والرحمة، فعن أنس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

[1] الزمر 53.

(قال الله تعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة)[1].

عنان السماء بفتح العين قيل هو: ما عن لك منها: أي ما ظهر إذا رفعت رأسك. وقيل هو: السحاب[2].

وقراب الأرض بضم القاف، وقيل بكسرها، والضم أصح وأشهر وهو: ما يقارب ملأها[3].

إن شعر **مفدي زكريا** واكب الحركة الوطنية على مستوى المغرب العربي فنقول بصدق بأن مفدي زكريا شاعر الثورة الجزائرية والثورات التحريرية جميعا، قال عنه الرئيس بوتفليقة[4]:

إن إصدار مؤلفات **مفدي زكريا**، وجعلها في متناول الأجيال، لهو واجب يدخل في صميم رعاية أنصع وأشرق ما نقشه المجاهدون والمجاهدات في ذاكرتنا الوطنية عبر العصور، إنها تمثل صفحات فريدة من نوعها في ثبت أمجاد الجزائر والأمة العربية، ذلك لأنها تجمع بين الشموخ والفداء والتألق في

---

[1] رواه الترمذي وقال حديث حسن.

[2] ابن منظور. لسان العرب، الجزء الثالث عشر. (ط6، بيروت: دار صادر، 1417هـ/1997م). ص:294، وأنظر أيضا: مجمع اللغة العربية. المعجم الوجيز.(القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1427هـ/ 2006م)، ص: 438.

[3] ابن منظو. لسان العرب، الجزء الأول. المرجع السابق نفسه. ص: 664.

[4] مفدي زكريا. أمجادنا تتكلم وقصائد أخرى. تصدير: عبد العزيز بوتفليقة، (الجزائر: مؤسسة مفدي زكريا؛ 2003م)، ص: 05 وما بعدها.

المنارة للاستشارات

الإبداع الشعري والرفعة والسموق في الآباء والجهاد بالفكرة والكلمة في سبيل تحرير الوطن.

ويصفه الأديب والكاتب السعودي **عثمان محمد ملياري** من خلال مشروعه الذي تفرغ له في السنوات الأخيرة، والخاص بإلقاء الضوء على الشعراء العرب الراحلين منذ سنوات قليلة، فيقول: مفدي زكريا... شاعر العروبة والإسلام في الجزائر؛ كانت الجزائر حبه الأول والأخير، وكان ضمير أمته ولسان أبناء وطنه.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1. ابن حجر العسقلاني. فتح الباري. (ط3، بيروت: دار التراث العربي؛ 1405هـ/ 1985م).
2. ابن كثير. السيرة النبوية. ج2، (ط1، القاهرة: دار الصفا، 1426هـ/ 2005م).
3. ابن منظور. لسان العرب، ج1 وج13. (ط6، بيروت: دار صادر،1417 هـ/1997م).
4. حسان بن ثابت الأنصاري. ديوان حسان بن ثابت الأنصاري. شرح وضبط وتقديم: عمر فاروق الطباع (ط1؛ بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، 1413هـ/ 1993م).
5. الصنعاني. سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام.(الإسكندرية: دار البصيرة، 2002م).
6. فخر الدين الرازي. التفسير الكبير. ج1، تحقيق وتعليق عماد زكي البرودي، (القاهرة: المكتبة التوفيقية).
7. مجمع اللغة العربية. المعجم الوجيز.(القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1427هـ/ 2006م).
8. محمد ناصر، مفدي زكريا شاعر النضال والثورة. (الجزائر: المطبعة العربية، 1984م).
9. محي الدين النووي. شرح الأربعين النووية.(ط1؛ بيروت: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، 1423هـ/ 2002م).
10. مفدي زكريا. أمجادنا تتكلم وقصائد أخرى. تصدير: عبد العزيز بوتفليقة، (الجزائر: مؤسسة مفدي زكريا؛ 2003م)، ص: 05 وما بعدها.

المنارة للاستشارات

11. مفدي زكريا. إلياذة الجزائر. (ط2؛ الجزائر: موفم للنشر والتوزيع، 2001م).
12. مفدي زكريا. اللهب المقدس. (ط3؛ الجزائر: موفم للنشر والتوزيع، 2000م).
13. النووي. صحيح مسلم بشرح النووي. ج7، مراجعة وضبط وتحقيق وتعليق محمد محمد تامر، (ط2، القاهر: دار الفجر، 1425هـ/2004م).